أوصيتُ أهلي!

الإمام سعيد بن المسيب رحمه الله يقول في مرضه الذي مات فيه :

إذا متُّ فلا تضربوا على قبري فسطاطاً ، ولا تحملوني على قطيفة حمراء ، ولا تتبعوني بنار ، ولا تؤذنوا بي أحداً ، حسبي من يبلغني ربي ، ولا يتبعني راجزهم هذا . . وهذا هدي الإسلام في الجنائز .

ولما اشتد الوجع عليه ، دخل عليه نافع بن جبير بن مطعم يعوده ، فقال نافع : وجِّهوا فراش الإمام سعيدٍ إلى القبلة ، ففعلوا ، فلما أفاق ، قال : من أمركم أن تحوِّلوا فراشي إلى القبلة ، أنافع بن جبير أمركم بذلك ؟ فقال نافع : نعم ، فقال الإمام : لئن لم أكن على القبلة والملَّة ، لا ينفعني توجيهكم فراشي ، وقد أخذ ذلك من أحاديث المصطفى محمد ﷺ :

« إن الله لا ينظر إلى صوركم وأجسامكم ، إنما ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم » .

حتى لما اشتدَّ به المرض لم يترك الصلاة أبداً ، بل كان يصلي مستلقياً إيماءً .

وقال وقتها : على الأرض ولدتُ ، وعليها أموت ، وعليها أبعث إن شاء الله تعالى .

وكره أن يتبع في جنازته برجز وقال : حسبي من يقلبني إلى ربي ، وأن يمشوا معي بمجمر[1] ، فإن أكن طيباً ، فما عند الله أطيب من طيبهم .

---

(١) المجمر : اسم الشيء الذي يجعل فيه الجمر والبخّور .

وأوصى فقال : أوصيت أهلي إذا حضرني الموت بثلاث : ألا يتبعني راجز ولا نار ، وأن يعجل بي فإن يكن لي عند ربي خير ، فهو خير مما عندكم[1] .

* * *

لو لم تأتها أتتك!

في روضة العقلاء ونزهة الفضلاء[2] كلام رائع أختار منه ما يلي :

جاء رجل إلى النَّبي ﷺ ، وفي البيت تمرة ، فقال رسول الله ﷺ :

« هاك ، لو لم تأتها أتتك » رواه ابن حبّان .

ثم يقول ابن حبّان : التوكل هو قطع القلب عن العلائق برفض الخلائق ، وإضافته بالافتقار إلى محوّل الأحوال ، وقد يكون المرء موسراً في ذات الدنيا وهو متوكل صادق في توكله إذا كان العدم والوجود عنده سيَّيْنِ لا فرق عنده بينهما ، يشكر عند الوجود ، ويرضى عند العدم ، وقد يكون المرء لا يملك شيئاً من الدنيا بحيلة من الحيلة ، وهو غير متوكل إذا كان الوجود أحبَّ إليه من العدم ، فلا هو في العدم يرضى حالته ، ولا عند الوجود يشكر مرتبته .

ثم ينقل عن الكريزي شعراً :

فلو كانت الدنيا تنالُ بفطنة ... وفضل عقول نلتُ أعلى المراتب

ولكنما الأرزاق حظٌّ وقسمة ... بملك مليك ،لا بحيلة طالب

---

(١) للتوسع راجع طبقات ابن سعد : ٥/ ١٤٠ وما بعدها .

(٢) من روضة العقلاء ونزهة الفضلاء لابن حبان البستي : ١٥٥ـ١٦٠ .